دلالة الأصوات في سورة المطففين

(دراسة إحصائية - دلالية)

الدكتور محمد شيخ
أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان، إيران
sheikh - m20@yahoo.com
وحيد اولايي
طالب الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيستان وبلوشستان، إيران
vahid.oli2564@gmail.com

The significance of the sounds in Surat Al-Mutaffifin (statistical-semantic study)

Dr. Mohammad Sheikh
Associate Professor of Arabic Language and Literature, University of Sistan and Baluchestan , Iran
Vahid olyaei
Master's Student in Arabic Language and Literature, University of Sistan and Baluchestan , Iran

الملخص:ـ

الصوت يعدّ من أهم الدراسات اللسانية الحديثة وهو جزءٌ من إعجاز القرآن الذي يكشف الخَلَجات والحالات النفسية خلال الحروف والكلمات والجملات ويبين جمالياتها في الأحوال المختلفة. النص القرآني هو بمثابة سلاسل صوتية يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً وكلٌّ من هذه الأصوات تدلّ على معنى معين والوصول إلى هذه المعاني تستوجب دراسة تحليلية لأصواتها؛ لأنها المحور الأول للدخول في النصّ وكشف معانيه.

تهدف هذه الدراسة باستخدام المنهج الوصفي- التحليلي الإحصائي إلى دراسة أصوات وتحليلها في سورة المطففين. لما كان الإيقاع الصوتي ينشأ من صفات الحروف وما فيها من حركات ومدّات ومن مواقع الكلمة ومقاطع الجمل فإننا آثرنا أن نعرض تأثير هذه العوامل في إنشاء الإيقاع الصوتي في هذه السورة. ومن نتائج هذه الدراسة: هناك بين دلالة الأصوات ومعانيها علاقةٌ وثيقةٌ، وكلّ من صفات الأصوات والمقاطع تتنوّع بتنوّع مضمون الآيات للدلالة على المعنى المراد والأصوات أعدادها جاءت متناغمة بما يطلبه السياق، حيث تتناسَب صفات الأصوات (المجهورة، والمهموسة، والشديدة، والرخوة واللينة) مع مضمون الآيات فضلاً عن تلاؤم المقاطع في الآيات.

الكلمات المفتاحية: الأصوات، الدلالة، الإيقاع، المقطع، سورة المطففين.

Abstract:-

The sound is one of the most important modern linguistic studies and it is a part of Koran's miracle that reveals excitement and spiritual states in different conditions by letters , words and sentences. The text of the Koran is cohesive and coherent like a set of sounds that have many relations with each other and each of these sounds directs for one particular meaning that access to these meanings requires analytical research because phonology is the first axis to enter the text and study of its meaning.

Since the music and the sounds of letters and characters suchprovisions comes into existenceWe want to examine the impact of this factor in creating musical sounds. It is an effort which pays to express semantics of sounds in Surat Al-Mutaffifin by statistical tables using descriptive - analytical method.

The results of this research indicate that there is a strong relationship between sounds and their meaning in surah and each of the adjectives of sounds and syllables change in both surahs based on contents of signs to point the meaning of signs and also , the number of sounds is concordant with depth of signs so that each adjective is concordant with the content of signs in addition to syllables.

Key words: Semantics, sound, Rhythm, section, Surato - Al-Mutaffifin.

المقدمة:

تقع الدراسة الصوتية في صميم دراسة النصوص الأدبية، لأنّ التحليل الصوتي لهذه النصوص - بما فيها من أصوات وايقاعات - يساعد كثيراً في فهم طبيعتها، وفي الكشف عن الجوانب الجمالية فيها بالإضافة إلى ما فيه من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها، والتي تدفعه إلى اختيار أصوات وإيقاعات بعينها (رفيق، ٢٠٠٣م: ٨) والقرآن المنطلق الأساس للظاهرة الصوتية، لذلك اتخذت الدراسة الصوتية - عند العرب- (القرآن) أساساً لها ولتطلعاتها وآياته مضماراً لاستلهام نتائجها وهي حين تمازج بين الأصوات واللغة وتقارب بين اللغة والفكر فإنما تتجه بطبيعتها التفكيرية لرصد تلك الأبعاد مسخرة لخدمة القرآن العظيم (عبدالكريم، ٢٠١٠م: ٢٨٨)

فإذن للصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني من حيث أنّه البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب والآيات، إلى جانب ذلك فهو عنصر أساس في الإعجاز القرآني والقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات اللغوية قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة (بلقاسم، ٢٠٠٩م:١) هذا الصوت ينثر الموسيقي في الجملات والألفاظ والحروف ملائماً مع أغراض الآيات وجوّها ويتنوع بتنوع مضمون الآيات في السور المختلفة فيجعل من الإيقاع وسيلة للتأثير والتمكين قصد الاستجابة والإذعان؛ حيث للإنسان جانب وجداني فلا مناص من مخاطبة هذا الجانب بلغة النظم الفني وجماله (حرير،٢٠١٠م:٣٢٠)

هذه الدراسة ضمن التركيز على الجانبين: الأول: صفات الأصوات المجرّدة كالأصوات المجهورة، المهموسة، الشديدة والرخوة والأصوات اللينة والثاني: الأصوات المتشكلة كالمقاطع تسعي بالمنهج التوصيفي -التحليلي إلى أن تبين دلالة الأصوات في سورة مطففين حتى نصل إلى النتائج خلال الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف يتجلى موسيقى الأصوات في سورة المطففين؟
- ماهي العلاقة بين صفات الأصوات ومضمون السورة؟

قمنا بعمل الجداول الإحصائية في سورة المطففين ثم درسنا الموضوع من خلالها.

٢- خلفية البحث:

هناك دراساتٌ صوتيةٌ في القرآن الكريم ويهتم العلماء بهذا الموضوع من أهمّها:

مقالة عنوانها: (الدلالة الصوتية وأثرها في بيان المعاني، آيات المعاد نموذجاً) للباحثين، مناف مهدي الموسوي، وجنان صاحب كطافة الموسوي، طبعت سنة (٢٠١٠م)..هذه الدراسة قائمة على المحورين: الأول، المحاكاة الصوتية القائمة على ثنائية العلاقة بين الصوت ومدلوله، والمحور الثاني، يدرس التكرار الصوتي في آيات المعاد وما له من التأثير على المعنى.

- مقالة عنوانها: (البنية الإيقاعية وجمالياتها في القرآن الكريم) لمحمد حرير طبعت سنة (٢٠١٠م). هو يبحث عن عناصر الإيقاع في القرآن الكريم حتى يبين جمالياتها.
- مقالة عنوانها: (دراسة الأصوات في القرآن الكريم؛ سورتي النجم والقمر نموذجاً) كتبتها الباحثان عيسى متقي زاده، و كاوه خضري طبعت سنة (١٤٣٤هـ). هذه الدراسة محاولة للكشف الجماليات في سورتي النجم والقمر ضمن الموازنة بين السورتين، خلال الجداول الإحصائية.
- مقالة عنوانها: (الدراسة الصوتية في لغة القرآن ودلالتها في الآيات الفقهية؛ آيات الحجاب نموذجاً) كتبتها كبري روشنفكر والآخرون، طبعت سنة (١٤٣٦هـ).. تناولت هذه الدراسة بدلالة الأصوات في آيات الحجاب وتناسبها مع مضمون الآيات فضلاً على العلاقة بين الصفات ومخارج الأصوات ومضمون الجمل.
- مقالة عنوانها: (الجرس والإيقاع في الفواصل القرآني) لأنسام خضير خليل (دون ت). عمد هذا البحث إلى بيان وجه من الإعجاز المتمثل بجرس الفاصلة وإيقاعها ليبين أنّ تلك الفواصل ليست مجرد الفاظ جاء بها القرآن الكريم من دون الأثر بل هي ألفاظ ذات جرس موسيقي مؤثر في النفس البشرية.

٢- أدب البحث النظري

١-٢- الدلالة والصوت

للفظ في اللغة دلالةٌ معينة عند أصحابها واللغة العربية ذات الأصالة العريقة والبيان الرائع أدت دورها الرائد على كامل الوجه في العصور الماضية في تلبية احتياجات العرب

والخاصة منهم بألفاظ الدلالة على المعاني المتنوعة فكانت لغة الأدب والشعر وعلوم الأخرى (بشتاني، لاتا:١٤)

يقول إبن منظور:" الدليل ما يستدلّ به. والدّليل: الدّالّ. وقد دلّه على الطريق يدلّه دلالة ودلوله والفتح، أعلى. الدلالة ما جعلته للدّليل أو الدّلّال.(إبن منظور، ١٩٩٢م، ج٤:مادة دل ل)

في الاصطلاح كون اللفظ متي أطلق أو أحس فهم منه معناه لعلم بوصفه وهي منقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام لأنّ اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة وعلي جزئه بالتضمن إن كان له جزء وعلي ما يلازمه في الذهن بالالتزام (الزبيدي الحسيني، ١٣٠٦هـ، ج٧: ٣٢٤) فهو علم يهتمّ على تبيين معاني النص المستورة.

أمّا الصوت في اللغة " فالجرس وجمعه الأصوات. الصوت صوت الإنسان وغيره والصائت: الصائح ورجل صيت: أي شديد الصوت" (إبن منظور، ١٩٩٢م، ج٤: مادة ص و ت).

والمادة الصوتية هي مظهر الانفعال النفسي بسبب تنوع الصوت، بما يخرجه فيه من المد أو اللغنة أو اللين أو الشدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة على مقادير تناسب ما في خلجات النفس. قد ظلوا على هذه الحال ردها من الزمان فلما أنزل القرآن وتلي عليهم؛ رأوا حروفه المؤتلفة والمتناسقة والمترتبة، باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة طبيعية في الهمس والجهر والشدة والرخاوة فكان منهم إلّا أن رأوا ايضاً أن لا قبل لهم به، فكان ذلك بين في عجزه (حرير،٢٠١٠م:٣٢١) إذن تُكشَف عن جماليات النص الأدبية المختلفة من خلال التعامل مع الصوت المجهور والمهموس والشدة و.... وايضاً يمكن التعرف على البناء الصوتي الكلمات من خلال تبين نوعية المقاطع الصوتية المكوّنة لها، ويعدّ المقطع مرحلة وسيطة ما بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة الأصوات (رفيق،٢٠٠٣م:٨).

هناك علاقة وثيقة بين الدلالة والصوت، يتحدث العلماء عن الدلالة الصوتية وأثرها في وضوح المعنى، لأنّ نطق الأصوات نطقاً صحيحاً يساعد على معرفة المعنى، بينما عدم وضوح النطق يؤدي إلى الأبهام في تحديد المعنى، فالخلط بين الأصوات يفضي إلى الخلط في المعنى، فهناك من لا يفرق بين القاف والغين والزاي والذال فتصبح "غوي" "قوي" و"يتزكي" "يتذكى" وغير ذلك من الأمور الصوتية (الحازمي،١٤٢٤ه:٧١١) وكان للإيقاعات أثر معنوي

في النفس وتصويره.

٢-٢- الأصوات المجهورة والمهموسة

الموسيقي يظهر في بعض جوانب النص الأدبي من خلال الملامح الصوتية التي تبرز بشكل يلفت النظر إليها فطبيعة الأصوات المفردة مخارجها وصفاتها من جهر وهمس وشدة ورخوة و... تشكل هذه السمات المرحلة الأولى للدراسات الصوتية التي يأخذ بها الدراس الأدبي، وخاصة الدراسة الأسلوبية الحديثة (خلف، ٢٠٠٦م:٧) قسم علماء اللغة الأصوات الصامتة إلى المجهورة (soudres) والمهموسة (les sonores) بحسب الوترين الصوتيين؛ أي من حيث ذبذبة هذين الوترين واهتزازهما في أثناء الأداء الفعلي للكلام أو عدم اهتزازهما (بحري، ٢٠٠٩م: ٥٠) فينتج الأصوات المجهورة حين يتحرك الوتران الصوتيان عند مرور الهواء بهما، في صورة ذبذبة، وقد لا يتحرك الوتران فينتج الصوت المهموس (شاهين،١٩٨٠م:٢٧) فالجهر والهمس ملمحان يتعاقبان في النص بانسجام لتبليغ رسالة بالقوة والإثارة والتنبيه طوراً، وباللين والتأمل طوراً آخر (منصوري، ٢٠١٠م:٦٩)

٣-٢- الأصوات الشديدة والرخوة

الدلالة الصوتية هي الدلالة التي تستنبط من الأصوات التي تألّفت منها الكلمة وتختلف دلالة الكلمات بحسب طبيعة هذه الأصوات، فتدلّ شدة الصوت وجهره على معنى قوي كما تدل رخاوة الصوت همسه على معنى فيه لين ويسر (متقي زاده، ١٣٩٢ش: ١٤٠) الصوت الشديد هو الذي يلتقي فيه عضواً النطق (الثابت والمتحرك) التقاء محكماً فينحبس الهواء لفترة ثم ينفرج العضوان فيندفع الهواء مسرعاً محدثاً انفجاراً و أما الصوت الرخوة فهو الصوت الذي يلتقي فيه عضواً النطق الثابت والمتحرك، التقاء غير محكم فيخرج الهواء مع الضيق محدثاً حفيفاً واحتكاكاً (الفوزان، ١٤٢٨ش: ١٦و١٧)

٤-٢- الأصوات اللينة (المدّ)

المد هي "إطالة الصوت وامتداده تقتضيها الألف والياء والواو"(سعاد،٢٠٠٩م:٧٥) تتصف أصوات المد في جميع اللغات بأنها كثيرة التداول والاستعمال وتمتاز بدقة النطق بها فأي انحراف في نطقها يجعلها نابية في النطق(زكي،٢٠١١م:٥٥٠) الصفة الأصلية التي تجمع بين

الأصوات اللين هي أنه ند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين ماراً بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور ما يحدث مع الأصوات الشديدة. فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية المرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع(أنيس،١٩٨٤م: ٢٧)

٥-٢- المقاطع

في قسم المقاطع إذا رمزت للصامت بالرمز ﷺ، وللصائت أو الحرة بالرمز (ح) فيمكن عرض الأشكال الرئيسة للمقاطع العربية كما يأتي:

١- المقطع القصير (ص ح) ويتألف من صامتٍ وحركةٍ قصيرةٍ

٢- المقطع المتوسط المفتوح (ص ح ح) ويتألف من صامت وحركة طويلة

٣- المقطع المتوسط المغلق (ص ح ص) ويتألف من صامت ثمّ حركة قصيرة يتلوها صامت

٤- المقطع الطويل المغلق (ص ح ح ص) ويتألف من صامت ثم حركة طويلة يتلوها صامت

٥- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق (ص ح ص ص) (شاهين، ١٩٨٠م: ٣٨-٤٠)

٣-دراسة و تحليل:

من الجدير أن نشير إلى الأصوات المجهورة، المهموسة، الرخوة و الشدة قبل إحصاء الأصوات في الجداول. الأصوات المجهورة في قول العلماء "ب/ ج/ د/ ز/ ر/ ذ/ ض/ ظ/ ع/ غ/ ل/ م/ ن/" والأصوات المهموسة: "ت/ ث/ ح/ خ/ س/ ش/ ص/ ط/ ف/ ق/ ك/ هـ/" (أنيس، ١٩٨٤م: ٢٢)

الأصوات العربية الشديدة عندالعلماء أحياناً يسمونها بالأصوات الانفجارية هي "ب/ ت/ د/ ط/ ض/ ك/ ق/ الجيم القاهرية" والأصوات الرخوة العربية هي مايسميها المتأخرون بالأصوات الاحتكاكية هي "س/ ز/ ص/ ش/ ذ/ ث/ ظ/ ف/ هـ/ خ/ غ/" (*المصدر السابق*، ٢٦). نحاول عمل جداول إحصائية للأصوات افي الآيات القرآنية الواردة.

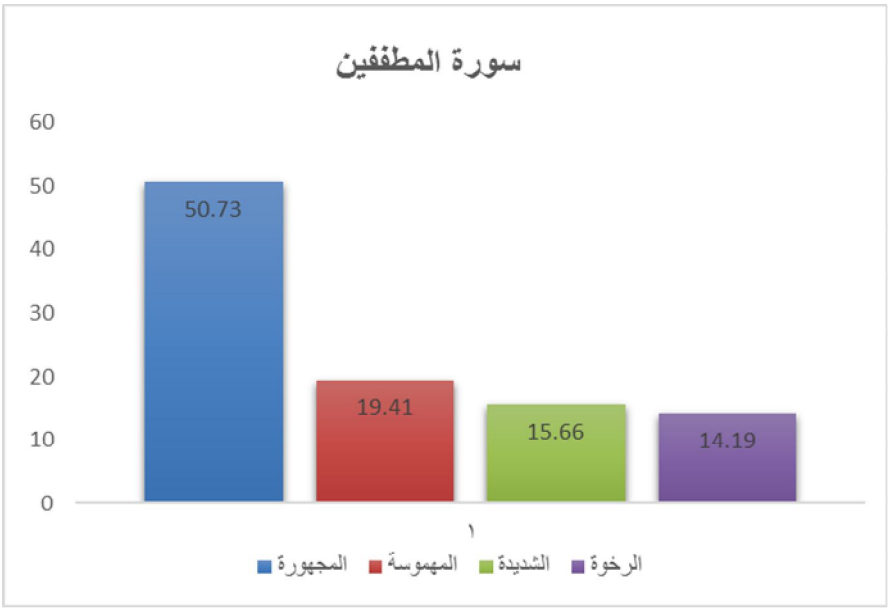

من خلال العمليّة الإحصائيّة نلاحظ قد سيطرت الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة وتكرارها يبلغ بنسبة (٦٣.٤٦). ونسبة الأصوات الشديدة والرخوة كانت قريبة معاً وهذا مناسباً مع محاور آيات الترغيب والترهيب التي تناولت هذه السورة.

نتطرق إلى تطبيق صفات الأصوات ودلالاتها في هذه الآيات:

افتتح الله تعالى هذه السورة بالويل التي تشير إلى التقريع والتوبيخ لهولاء وتأكيدا لمصيرهم السوء ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (مطففين: ٦-١)

كلمة (ويل) لا تستعمل إلا عند وقوع الابتلاء يشعر بشدة خطر هذا العمل وهو فعلا خطيراً لأنّه مقياس اقتصاد العالم وميزان التعامل، فإذا اختل أحدث خللاً في اقتصاده وبالتالي اختلال في التعامل وهو فساد كبير فإذن يدل الأصوات المجهورة (نون، ميم) في إبتدا السورة ليجهر الدعاء عليهم. و المطففين الذين ينهجون سياسة الكيل بالموازين المتعددة ليمنعوا أهل الحقوق عن حقوقهم فيأتي لفظ "المطففين" بصوت الفاء المهموسة مرتين ليصور أنّهم ينقصون في الخفاء بالظرافة مع القلق والاضطراب خوفاً أن يراهم أحد في هذا العمل

الشنيع ثم صوت "السين" في آيات (٣-٢) يوحي النقصان في عملهم أكثر من حقهم فخطابهم بهذه الصفة توبيخاً لهم وتحقيرا لشأنهم.

ثم يقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (مطففين: ٧-١٧)

في هذا المقطع يذل الفجّار ويحقر شأنهم فيأتي بلفظ "سجين" ومرّتين بأصواته "السين" - وهو صوت الهمس والصفير- مع صوت "الجيم" فينثر الفزع والهراس في الجو وفق سياق الترهيب لأنّ روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبي السماء أن تقبلها ثم يهبط بها إلى الأرض فتأبي الأرض أن تقبلها فتدخل سبع أرضين حتى ينتهي بها إلى سجين وهو موضع جند إبليس والمعنى في الآية أن كتاب عملهم يوضع هناك (الطبرسي، ١٩٨٨م: ٦٩٠/١٠) فيلقي ظلا عنيفا في سياق الآية لتحقير شأن المجرمين.

لفظ "الفجار" بصوته الجيم الانفجاري وصوت الراء بصفته التكرار يلقي شدة فجورهم في الأذهان ثم الله تعالى يأتي بلفظ "سجّين" فنلمح في سينه الصفيري ذي القوة الأسماع العالية المتلو بالجيم المجهور الشديد المتكرر بالإدغام ثم المد بالياء يوحي بما سيتفاجأ به من أخبار في هذا الكتاب.

بعد ذلك يتكلم الله تعالى عن الأبرار و مقامهم: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (مطففين: ٢٨-١٨)

وعد الله تعالى الأبرار مقابلة وعيد الفجّار ويصرّح كلامه بالأصوات الشديدة والمجهورة، فصوت الراء في كلمة "الأبرار" بصفته التكرار يدل على تكرار البرّ ثم لفظ "علّيين" بأصواته المجهورة يوحي العلو والارتفاع فيؤكد كلامه بـ "إنّ" تصريحاً لارتفاع

منزلتهم، ويزيد على قوة البيان بسؤال ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ يسأل عن "عليون" ويبينه بوصفين أنّه كتابٌ مرقوم يشهد الملائكة هذا الكتاب ويرونه فتقرير هذه الحقيقة يلقي ظلاً كريماً طاهراً على كتاب الأبرار فهو موضع مشاهدة المقربين من الملائكة (سيد قطب، ١٩٨١م:١٠/٣٨٥٩) وهذا ظل كريم يذكر بقصد التكريم.

ثم تكرار صوت "الهاء" قد يزيد الإطمينان والرضي في الجو وفي عبارة "تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ" تكرار صوت "الهاء" متفقاً بسياق ينثر إيقاعاً لطيفاً فيوحي اللطافة والرحمة التي يكمل بلفظ "نضرة النعيم" فإذن علاوة على دلالة الحروف على المعاني فكل من الحروف والكلمات متسقا معا يدل على معنى السياق.

ثم يتكلم الله تعالى عن خمر صافية خالصة ويصفها فيأتي بالجمل الإسمية لإفادة الثبوت كما أنّ استخدام الأفعال المضارعة يفيد التجدد والاستمرار، أما الواو ففي جملة ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ يكون الواو اعتراضية فقوله "وفي ذلك" هو مبدأ الجملة وتقديم المجرور لإفادة الحصر أي وفي ذلك الرحيق فليتنافس الناس لا في رحيق الدنيا الذي يتنافس فيه أهل الخمر، ولام الأمر في فليتنافس مستعملة في التحريض والحث (ابن عاشور، ١٩٨٤م:٣٠/٢٠٧) نسمع في هذا المقطع أصوات المهموسة والرخوة خاصة صوت "السين" كأنّه يقرب على الأبرار من عباده ويهمس في أذنهم والفواصل في الآيات تأتي مناسباً المعاني حينما يختم على أمر يأتي بحرف "ميم" المجهورة وحينما يتكلم عن أمر مستمر يأتي بحرف "نون" المجهورة متناسقا بالنعم التي يعطيها الله تعالى.

وفي آيات ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (مطففين: ٣٦-٢٩)

استخدم الله تعالى الأصوات القوية ليقوي قلوب المؤمنين مقابلة سخرية الفاجرين فتكرار صوت "الذال" و"الضاد" يوحي إيقاعاً جميلاً كأنه يرسم صوت الزمزمة وظلالها بالحركات والإشارات مناسباً بالجو السخرية وإضافة إلى ذلك إيقاع الاستفهام في الآية الأخيرة يزيد على روعة هذا المشهد.

٣-١- المقاطع:

يمكن التعرف على البناء الصوتي من خلال المقطع وهو يعتبر من ألطف الوسائل الصوتية التي يركز عليها النص القرآني وله أهمية كبيرة في الكلام لأنّ المتكلمين "لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها، أو هم لا يفعلون ذلك إن إستطاعوا، وإنّما ينطقون الأصوات في شكل تجمّعات هي المقاطع" (مختار، ١٩٧٦م:٢٣٨).

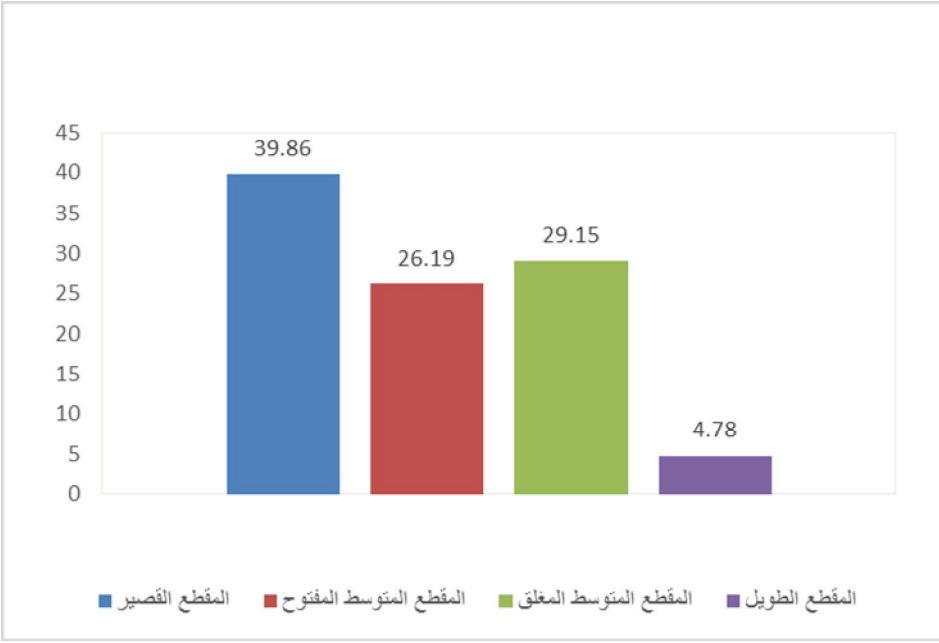

في هذه الآيات المقطع القصير كان أكثر تواتراً بنسبة إلى المقاطع الأخرى ثم المقطع المتوسط المغلق بنسبة (١٠) أقل من المقطع القصير وإن كان قريبا منه. نتطرق إلى بيان دلالات المقاطع:

١) الارتفاع في الضلالة

في آيات (١٠-٨-٤) يأتي استعمال اسم الإشارة للبعيد "أولئك" ليعبّر عن الرغبة في الإعراض عنهم أو ابتعادهم عن المصدر الهداية، فضلاً عن التهكم بهم والتقليل من شأنهم، ثم المقطع المفتوح في "الفجّار" و""المكذّبين" يدل على ارتفاعهم في الضلالة.

ثم تواتر المقاطع المقفلة في آيتين ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن

﴿رَبَّهُمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ كانت متلائمة بمعاني السياق لأنّ الله تعالى يوبّخ الفجّار فغطي على قلوبهم حجاباً ((لأنّ اعتيادهم الكفر وألفتهم له وغفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم فهم محجوبون يوم القيامة عن رحمة ربهم وكرامته)) (الطبرسي، ١٩٩٨م: ٦٩١/١٠) حتى لم يرون الحق ثم يذكر مصيرهم في الآخرة فإنّ الحجاب الذي يقفل قلوبهم في الدنيا يحرمهم عن رحمة الله تعالى فيأتي لتعبيره بلفظ "لمحجوبون" (ص ح/ ص ح ص/ص ح ح/ص ح ح ص) فإنّ المقطع الثاني المقفل مع صوت "الحا" -وهومن الحروف الحلقي- علاوة على إيقاع الشديد الذي ينثر في الجو يرسم شدة خوضهم في الظلام.

٢) شدة التوبيخ

الله تعالى يوبّخ الفجّار (كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ❖ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) ويزجرهم بأنّ لهم كتاباً مكتوباً من أعمالهم فتكرار لفظ "سجين" بمقاطعه المغلق يدل على حبس شديد وتضييق بسبب خساسة منزلتهم ويخبر أنّ السجين هو "كتابٌ مرقومٌ" فإنّ استخدام صيغة "مرقوم" اسم مفعول من الثلاثي بدل "مرقَّم" توحي سهولة الترقيم على الرغم من طوله المصور بامتداد المقطع المفتوح الطويل بصامت يرسم فيه صامتان في البداية والنهاية (ص ح ص / ص ح ح ص) صورة دفتي الكتاب وهو محاط بهما مُحافَظٌ عليه من خلالهما، وكلا المقطعين يدلان على أنّ هذا الكتاب مكتوب ومختوم للفجّار توبيخاً وتوعيداً لهم.

٣) لفت الانتباه

نشاهد زيادة المقاطع المفتوحة في الآيات، لأنّ الله تعالى يتكلم عن عباده الأبرار ومقامهم في الجنة وتواتر الحروف المدية التي تتشكل المقطع المفتوح ليلتف انتباه على نزول الخير والرحمة والهداية من عند الله تعالى.

في آيتين ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ القصد من "عليون" هو علو على علو مضاعف، وينطبق على الدرجات العالية ومنازل القرب من الله تعالى (الطباطبائي، ١٣٧٢ش: ٢٣٤/٣٠) لفظ "عليين" و"عليون" بمقاطعه المفتوحة يدل على

ارتفاع شأن الأبرار إضافة إلى ذلك استخدام الجملة الاستفهامية علاوة على الالتفات في هذا السياق ينثر في الجو إيقاعاً جميلاً ويزيد على علو منزلتهم. ثم تكرار عبارة (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ) في آيتين تدل على الترفة والتكرم في الجنة ((فأنّهم يتكئون على الأرائك وهو اسم لمجموع سرير ووسادته وحجلة منصوبة عليهما)) (ابن عاشور، ١٩٨٤م: ٣٠/٢٠٤) هذه العبارة تمنح إيقاعاً هادئاً في الجو ويصور علوّ منزلة الأبرار في الجنة والمقطع الطويل المغلق يؤكد على ارتفاع شأنهم.

٤) السرعة في العمل

قد يشير في "إذا اكتالوا" و "إذا كالوا" فرقاً صوتياً دقيقاً يتمثل في تكرار المقطع الصوتي الطويل المفتوح (ص ح ح) ثلاث مرات في الثانية، ومرتين في الأولى بسبب تحول ألف "إذا" من مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) إلى قصير (ص ح) لأنها دخلت على فعل يبتدئ بهمزة الوصل، فكأنّه بهذا يرسم حالهم وهم مسرعون، لأنّ التطفيف بالكيل ليست صعبة كالوزن، في حين نرى المد المتكرر ثلاث مرات يمثل حالهم وهم متثاقلون خشية الخسارة عند الكيل بالميزان.

النتيجة:

لقد تم من خلال الإحصائيات أن يلعب المستوي الصوتي دوراً رئيسا في كشف جماليات النص، يبين لنا أنّ الدلالة الصوتية كانت متلائمة مع سياق الآيات وتختلف دلالة الكلمات بحسب طبيعة هذه الأصوات. القرآن الكريم استخدم الأصوات ملائمة مع جوّ الخوف والرعب وجوّ التشويق وإثارة العاطفة؛ وهذا التلاؤم يتجلي خاصة من ناحية دراسة صفات الأصوات (العامة) ومنها الأصوات المجهورة والمهموسة، الشديدة، والرخوة.

شاهدنا في الإحصائيات هناك بين دلالة الأصوات ومعانيها علاقةٌ وثيقةٌ، والأصوات جاءت متناغمة بما يطلبها السّياق، حيث تناسب صفات الأصوات (المجهورة، والمهموسة، والشّديدة، والرّخوة) بمضمون الآيات فضلاً عن تلائم المقاطع فيهما، وبدراسة صفات الحروف والمقاطع نستطيع أن نستخرج الكنوز الدلالية الكثيرة فمن هذه الكنوز هي ما أوتي في الجدول التالي:

- دلالات الجهر و الشدة: القوة و الصراحة في البيان، شدة العقوبة، الصراحة في التحذير
- دلالات الهمس و الرخوة: الهدوء في البيان، القلق و الاضطراب، الهدوء و الاستقرار
- دلالات المقاطع: التأكيد في البيان، لفت الانتباه، السرعة في العمل، الشدة في التأكيد.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- أنيس، ابراهيم (١٩٨٤)، الأصوات اللغوية، مصر: مكتبة نهضة المصر
- إبن عاشور،(١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تونس:الدار التونسية للنشر
- إبن منظور (١٩٩٢م) لسان العرب، بتحقيق: على سيدي، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- حري، نوارة (٢٠٠٩م) نظرية الانسجام الصوتي وأثرها في بناء الشعر، مقدمةلنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية، جامعة الحاج لخضر- باتنة.
- البشتاني،عبدالمنعم (دون تا)، ((دلالة الألفاظ دراسة تحليلية تطبيقية لمفهوم وأنواع دلالة الألفاظ)).جامعة الجنان لبنان.
- الطبرسي، فضل بن حسن (١٩٨٨م) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، بيروت: دارالفكر.
- بلقاسم، دفّة (٢٠٠٩م)، ((نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم))، مقال طبع في مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.
- الحازمي، عليان بن محمد (١٤٢٤ه)، ((علم الدلالة عند العرب)). مجلة جامعة أم القري لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، المجلد١٥، العدد٢٧، صص٧٠٦-٧٢١.

- حرير، محمد (٢٠١٠م)((البنية الإيقاعية وجمالياتها في القرآن))، مجلة التراث العربي، جامعة ابن خلدون، العدد٩٩-١٠٠صص ٣١٦-٣٤٣
- خلف حمش، يونس (٢٠٠٦م) ((الصوت في القرآن الكريم دلالاته وأنماطه))، مجلة مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد١٣، العدد١٠، صص ٢٧-٥٥.
- زكي، محمدأحمد (٢٠١١م) ((المدّ في العربية دراسة صوتية موجزة))، مجلة جامعة بابل، المجلد١٩، العدد٤، صص٥٤٨-٥٥٦
- سعاد، حميتي(٢٠١٠م)"مسرحية بلال بن رباح لمحمد العيدآل خليفة" مذكرة لنيل شهادة ماجستير،جمعة الحاج لخضر(باتنة)
- سيدقطب (١٩٨١م)، تفسير في ظلال القرآن، الطبعة الأولى، قاهره: دارالشروق
- السيد محمّد مرتضي، الحسيني الزبيدي (١٩٦٦م)، تاج العروس من جواهر القاموس، بتحقيق: على هلالي، دون ط، دارالهداية للطباعة والنشر والتوزيع.
- شاهين، عبدالصبور (١٩٨٠م)، المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف والنحو العربي، دط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- معين رفيق (٢٠٠٣م)، دراسة أسلوبية في سورة مريم. أطروحة لنيل درجة الماجستير بجامعة النجاح الوطنية في نابلس:كلية الدراسات العليا.
- عبدالكريم؛ ساجدة (٢٠١٠م)، ((أثر الصوت في توجيه الدلالة (دراسة أسلوبية)))، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد١٣، العدد٣، صص ٢٨٦-٣٢٤
- قطب، سيد (١٩٨١م)، تفسير في ظلال القرآن، الطبعة الأولى، قاهره: دارالشروق.
- متقي زاده، عيسى، نورالدين پروين (١٣٩٢ش)، ((دراسة أسلوبية في قصيدة "موعد في الجنة"))، مجلة إضاءات النقدية (فصلية محكمة)، السنة الثالثة، العدد٩، صص١٣٥-١٥٢.